كلية: الآداب

القسم أو الفرع: اللغة العربية

المرحلة: الدراسات العليا/الدكتوراه

أستاذ المادة: أ.د.علي محمد عبد

اسم المادة باللغة العربية: قراءة في كتاب أدبي قديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية: A Reading in Book old Literary

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: منهج أبي علي القالي في كتابه الامالي

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: 'Abi Ali Al-Qali's Approach in 'Al-Amali

Book

محتوى المحاضرة الثالثة

منهج أبي علي القالي في كتابه الامالي:

يمتاز منهج أبي علي القالي في كتابه (الأمالي) ببسيط اللفظ الواضح، وتقريب المعنى المستغلق، وذكر اشتقاقات الالفاظ وتصريفها، واسلوبه مسترسل، وهذا ليس بغريب عنه فهو العالم الملم باللغة، وهذا الكتاب كذلك لا يخلو من الغريب الي هو اصل بناء الكتاب .

وكانت طريقته لا تخرج عن طريقة اللغويين الذين يتلمسون الصحة و السلامة في فصاحة اللفظ عند الجاهليين والإسلاميين، فكثيرا ما يُدعّم قوله بما نطق به القران الكريم، وصرح به الحديث النبوي الشريف، ومن ذلك " الردء: العون، قال تعالى: (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْأً يُصَدِّقُنِي) ، "ويقال: في مثل: في وجه مالك تعرف أمْرَته، وأمَرَته، أي نماءه، وكثرته، وقال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا) ، أي كثرنا". والخلف الرديء، يقال: بقيت من خلفِ سوء، أي من بقية سوء، قال الله تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِم خَلْفٌ)".

ويستشهد أبو علي القالي بما قاله العرب من الأمثال وهو الرأي الواسع عنده، ويظهر لي أن ذكره للأمثال العربية بكرة يدل على ثراء لغته واطلاعه الواسع على لغات العرب المختلفة، ومن شواهد ذلك " وقال الاصمعي: من أمثال العرب: (**ذكّرني الظعن وكنت ناسياً**)، يضرب مثلاً للرجل يسمع الكلمة فيتذكر بها شيئاً"، "

ويقال: (**أصرَدُ من عنزٍ جرباء**)، يُضرب مثلاً للرجل يجد البرد". "

وقال الأصمعي من أمثال العرب: (**خَلِّ سبيل مَن وهَى سقاؤُهُ**)، يراد به من لم يستقم أمره فلا تعبأ به". والملاحظ أنه ينقل أكثر أمثله عن الأصمعي، مع أنَّه قد أفرد صفحات خاصة لأمثال العرب، فيذكر المثل ثم يشرحه.

ولم يغفل شعر العرب فنجد بين ثنايا (الامالي) دراً مما قالته العرب، فيذكر مناسبة ذلك القول شاحاً إياه، ومن امثلة ذلك "والابلق لا يكون نتوجاً، والعرب تضرب هذا مثلاً للشيء الذي لا ينال، فيقول:

طلبَ الابلقَ العقوق فلما فاته أراد بيض الأنوق

والأنُوق: الذَّكر من الرَّحَم.

"ويقال: رُبِعَ الجلُّ يُربَع ربعاً، فهو مربوع، اذا كان يحَمُّ رِبعاً، وأربِع أيضا، قال الهذلي:

من المربعين ومن آزلٍ إذا جنة الليل كالناحط

ويقال: رُبِعنا إذا أصابنا مطر الربيع".

ولم يكتف أبو علي القالي بإيراد اشعار من العصر الجاهلي، أو عصر صدر الإسلام بل تعداه إلى عصر العباسي، كنقله قول ابي تمام قائلاً في الحكمة:

سقيم لا يموت ولا يفيق قد أمرح جفنه الدمع الطليقُ

إضافة إلى ذلك نراه ينقل الشعر دون ذكر القائل فمثلاً: يقول: (قال الراجز)، أو (قال الشاعر)، أو (انشدني يعض أصحابنا)، وهذه الأمور موجودة بكثرة، وان دلت على شيء فإنها تدل على كثرة اطلاعه، وحسن تناوله للمفردة.

ومن الملاحظ في هذه الموضوع إنه يكثر من الاستشهاد او رواية مجموعة من الأسماء دون غيرهم لاسيما الشعراء الذين عاشوا قبل الإسلام، او المخضرمون، او شعراء العصر الاموي، ومنهم: زهير بن أبي سُلمى، ودريد بن الصمة،

والحطيئة، وجميل بثينة، وقيس بن ذريح، وآخرين، وكذلك نقله الشعر على لسان عدد من النحاة او اللغويين، مثلاً: انشدنا أبو بكر السراج:

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي وهمُّوا بقتلي يا بثين لقوني

كذلك قوله: وكان أبو عبيدة يقول: لم أسمع المحدّثين مثل هذا:

كل السيوف يرى لسيفك هيبة وتخافك الأرواح في الابدان

ولا بد من الإشارة أولا : إلى ان كتاب الأمالي قد حوى أخبار وأشعار أهل المشرق على الرغم من انه قد أُملي في الأندلس، وكأنَّه أراد ان يعلم الاندلسيين آداب المشارقة التي كانوا يهتمون بها، ويقف كتاب الامالي من القارئ موقف المعلم فما يكاد يرد فيه نص او مسألة الا واتبع المؤلف ذلك بشرح مستفيض، ويتعهد احياناً ان يأتي بالصعب منها، وهو ينهج نهج كل من المبرد في الكامل، وثعلب في المجالس، وليس ذلك بغريب عنه؛ لأنَّه نشأ وتعلم في بغداد وهي مدينة هذين العالمين، والكتاب يستهدف الثقافة العامة إلى جانب الثقافة الخاصة، من خلال صحة الاخبار، والوقائع التاريخية العامة، وكأن العنوان لا يتفق مع محتوى الكتاب.

وكذلك سعى أبو علي القالي في كتابه الامالي إلى الاتيان بالمادة اللغوية فكانت غزيرة كثيرة في هذا الكتاب، وهو القائل في حقِّ كتابه: "فإني لما رأيت العلم أنفس بضاعة، أيقنت أن طلبه أفضل تجارة، فأغتربت للرواية، ولزمت العلماء للدراية، ثم أعملت نفسي في جمعه، وشغلت ذهني بحفظه، حتى حويت خطيره، وأحرزت رفيعه، ورويت جليله، وعرفت دقيقه، وعقلت شارده، ورويت نادره، وعلمت غامضه، ووعيت واضحه، ثم صنته بالكتمان عمّن لا يعرف مقداره، ونزهته عن الإذاعة عند من يجهل مكانه، وجعلت غرضي أن أُودعه من يستحقه، وأُبديه لمن يعلم فضله". وهذا الكلام يدل على حرص ابي علي القالي على الجمع والاستيعاب، شأنه في ذلك شأن المؤلفين الكبار القدماء، إضافة إلى ان هناك ما يشير إلى تواضع هذا العالم المفوه، وهو يبدأ فقرات كتابه بالعبارات التقليدية المألوفة كقوله: (أنشدنا، حدثنا، قرأت على فلان)، وهكذا.

وكذلك نلحظ ان أبا علي القالي ذوَّاق للنصوص فمن الممكن ان يُعد الكتاب من مختارات الأدب العربي من شعر ونثر، إضافة إلى الاصالة والندرة مما يؤدي إلى فائدة المتعة. وقد اتبع القالي في إملاء كتابه طريقة الاستطراد والانتقال من موضوع إلى موضوع من دون رابط بينهما، او قاعدة يسير عليها، حتى انه لم يقسم كتابه إلى أبواب كما صنع ابن قتيبه في عيون الاخبار مثلا، بل اتبع الجاحظ في البيان والتبيين، والمبرد في الكامل، فأورد موارد الكتاب على شكل أمال متتالية لا يربط بينهما باب، او أثر من ترتيب، والكتاب يضم بين دفتيه روائع الآثار المروية عن العصر الجاهلي، والإسلامي والاموي، وصدر دولة بني العباس، وهي نصوص أدبية رفيعة قد لا توجد في كتاب آخر سواء ما سجله القالي منها من النثر ام الشعر. والجد هو الطابع الغالب على كتب القالي لا سيما كتابه الامالي، فقلما يجنح فيه إلى الفكاهة والهزل، والبذاءة والمجون، وقلما

نجد فيه أشعار واخبار تخدش الحياء، وتجرح الشعور. وقد خالف القالي بنهجه هذا منهج أصحاب الموسوعات الأدبية، مثل الجاحظ، وابن قتيبة، وابي حيان التوحيدي، وابن بسام، وهذا دليل على شخصية القالي الجادة الرصينة العفيفة على أنه ليس في الكتاب شيء من أدب الأندلس وآثارهم إنما هو صورة مشرقة واضحة الذوق لأدباء المشرق وشعرائه ونقاده.

فكتاب الامالي دائرة معارف في الأدب القديم، وهو ثمرة الثقافات الواسعة وهو صورة الأدب المشرقي في مختلف العصور إلى أواخر القرن الثاني الهجري، زد على ذلك أنه وثيقة مهمة ومرجع أساس للطلاب والعلماء يعولون عليه في دراسة اللغة والأدب.

ولقد وقف القالي في كتابه الامالي كثيرا امام عدد من العناصر الأساسية في سياق الحال أو المقام، فقد عنى بوصف حال المتكلم (الشاعر، او الناثر)، وبمناسبات الأشعار في درسه لعنصر التاريخ، حتى أنه لم يغفل الاطار الزماني والمكاني لكثير من نصوصه،

وأخيراً لا بد من ان نسجل بعض المآخذ التي لمسناها عند تطوافنا في هذا الكتاب القيم، ومنها إن الكتاب ليس فيه منهجية واضحة، او تنسيق للموضوعات، ولعل سبب ذلك يعود إلى طريقة الإلقاء والاملاء، والذي كان يُملى عن ظهر قلب، كذلك وجدت الباحث بعض صور التكرار، ويكون ذلك التكرار إما بالموضوع، او بالمفردة، او النص، في أكثر من موضع، ولعل التعليل السابق له موضع في هذه الملاحظة.

من الاحاديث التي وردت القالي :

الحديث الاول: مطلب تفسير الغريب من حديث السحابة:

بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ سَحَابَةٌ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعِدَهَا؟» . قَالُوا: مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ تَمَكُّنَهَا! قَالَ: «وَكَيْفَ تَرَوْنَ رَحَاهَا؟» . قَالُوا: مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ اسْتِدَارَتَهَا! قَالَ: «وَكَيْفَ تَرَوْنَ بَوَاسِقَهَا؟» .

قَالُوا: مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ اسْتِقَامَتِهَا! قَالَ: «وَكَيْفَ تَرَوْنَ بَرْقَهَا أَوَمِيضًا أَمْ خَفِيًّا أَمْ يَشُقُّ شَقًّا؟» قَالُوا: بَلْ يَشُقُّ شَقًّا، قَالَ: «فَكَيْفَ تَرَوْنَ جَوْنَهَا؟» . قَالُوا: مَا أَحْسَنَهُ وَأَشَدَّ سَوَادَهُ! فقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: «الْحَيَا» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الَّذِي هُوَ مِنْكَ أَفْصَحُ، قَالَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِي لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» .

قَوَاعِدُهَا - يَعْنِي قَوَاعِدَ السَّحَابِ - وَهِيَ أُصُولُهَا الْمُعْتَرِضَةُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، وَأَمَّا الْبَوَاسِقَ فَفُرُوعُهَا الْمُسْتَطِيلَةُ فِي السَّمَاءِ إِلَى وَسَطِ السَّمَاءِ وَإِلَى الْأُفْقِ الْآخَرِ، وَالْجَوْنُ الْأَسْوَدُ وَقَوْلُهُ: رَحَاهَا فَرَحَاهَا اسْتِدَارَةُ السَّحَابَةِ فِي السَّمَاءِ، وَالْخَفْوُ هُوَ الِاعْتِرَاضِ مِنَ الْبَرْقِةِ فِي نَوَاحِي الغيم، وَالْوَمِيضُ أَنَ يَلْمَعَ قَلِيلًا، ثُمَّ يَسْكُنَ وَلَيْسَ لَهُ اعْتِرَاضٌ، وَأَمَّا الَّذِي يُشَقُّ شَقًّا فَاسْتِطَالَتُهُ فِي الْجَوِّ إِلَى وَسَطِ السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْخُذَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَالْحَيَا هُوَ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْغَزِيرُ .

الحديث الثاني: عَلَى غريب حديث أحرم ما بين لابتي المدينة

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لابَتَيِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا» ، هكذا سَمِعْتُ بلا لَهُ اللابة واللوبة: الحرة، فمن قَالَ لابة، قَالَ فِي جمعها: لاب، ومن قَالَ: لوبة، قَالَ فِي الجمع: لوب، قَالَ سلامة بْن جندل:

حتى تركنا وما تثنى ظعائننا ... يأخذن بين سواد الخط فاللوب

والعضاه: كل شجر لَهُ شوك يعظم، ومن أعرف ذَلِكَ: الطلح والسلم والسيال والعرفط والسمر والشبهان والكنهبل، والواحدة عضة، قَالَ الراعي: